لكن اشكال العمل هذه لا تتحدد ، بالطبع ، تاريخيا بانماط الانتاج ، كالقول في العمل ، مثلا ، انه عمل مأجور او عمـــل رقي ... فالفكر « الاقتصادي » الشيحاوي يجهل تمام الجهل مفهوما هداما كمفهوم نمط الانتاج . اشكال العمل تلك تتحدد ، في هذا الفكر ، **باشكال الجنس البشري** ، جوهريا . فمن الشعوب من هي ، في جوهرها ، شعوب تجارية ، ومنها من هي فيه صناعية او زراعية او غير ذلك . وحين يغيب **الاقتصاد** ـ بما هو ـ في معناه العلمي ، علاقات الانتاج المحددة الخاصة بنمط معين من الانتاج ـ في التعريف الاجتماعي ، ينفتح الباب واسعا امام ما يتفق من الايديولوجيات مع ضرورات السيطرة الطبقية الخاصة بطبقة مسيطرة معينة ، كالبرجوازية اللبنانية التي هي ، في البنية الاجتماعية الكولونيالية اللبنانية ، تدرك ، منذ ان كانت في عهد الانتداب ، (مقال شيحا هذا الذي نشير اليه ، كتب عام ١٩٣٦ ، وغيره من المقالات التي سنستند اليها في تحليلنا اللاحق ، كتبت ايضا قبل الاستقلال) ، وقبل ان تصل الى موقع السيطرة السياسية في عهد الاستقلال ، انها **في ازمة** ، وتدرك ، بعين ايديولوجييها الطبقية ، انها في خطر . ولانها في خطر ، عليها الا تستسلم للخوف او القلق . هذا ما كان يذكرها به شيحا ، في قوله لها ، سنة ١٩٥٣ : « عدونا الدائم هو القلق ، مهما كان شكل ظهوره ، او مصدره . عدونا هو الخوف » (٦) . وهنا أيضا تلعب اللغة ، في صياغتها الشكلية ، لعبة الايديولوجية ، اذ تنتظم ، في بنائها الداخلي ، بنظام هذه الايديولوجية وبمنطقها الذي هو منطق تغييبي اكثر منه غيبي . او قل انه غيبي لانه تغييبي . شيحا ينطق . هنا ، بلسان طبقته . هذا ما يفسر استخدام « نا » المتكلم . لكن ما يستوقف النظر ، بالفعل ، هو صفة « الدائم » هذه التي يصف شيحا عدوه وعدو طبقته . فلو انه وصفه بصفة « الرئيسي » ، مثلا ، او « الاساسي » او « الاخطر » ، او غير ذلك من الصفات ، لما بدا الامر بمثل هذه الغرابة .والغرابة هي في ان يكون العدو هذا **دائما** ، وفي ان يكون **القلق** هذا العدو الدائم . وتتبدد الغرابة اذا تغيرت صياغة الجملة الاولى واخذت صياغتها التي فيها تأخذ معناها الحقيقي ، فصارت على الشكل التالي : « عدونا **هو القلق الدائم** » ، او حتى ، بشكل ابلغ : « القلق الدائم ، هذا هو عدونا » . والواقع هو ان الجملة قد يكون لها ، حتى في صياغتها الشيحاوية ، هذا المعنى نفسه . فان يكون القلق هو العدو الدائم يعني ببساطة ان القلق هذا هو الدائم . وهذا يعني ، بدوره ، ان البرجوازية هي ، في موقع السيطرة الطبقية نفسه ، في قلق دائم . ولئن الحقت صفة الديمومة هذه بالعدو وليس بالقلق ـ كما هو وارد في الصياغة الشيحاوية ـ فليس هذا بسبب « هفوة » ، وليس هذا عن تدبير لفظي بحت لا دلالة له ، بل بسبب منطق هذا الفكر الايديولوجي نفسه ـ فكر الطبقة المسيطرة ـ الذي تحكمه الية تغييب ما يجب تغييبه حتى تدوم سيطرة هذه الطبقة المسيطرة،